## النفحة الثانية عشرة: رَمَضَانُ شهر العلم والتعلم

إذا أراد أحدنا أن يتحدث عن رَمَضَانَ، فإن أول ما يجول في خاطره من مزاياه السامية أنه شهر القرآن، فالقرآن وسام رَمَضَانَ، وإذا أردنا أن نتحدث عن القرآن فإن أول ما يبرز من خصائصه أنه توج بالعلم، فكانت كلمة (اقرأ) مفتاح القرآن، وأول ما نزل منه على قلب الحبيب ﷺ.

ولا غرابة في ذلك، فالقوم الذين نزل عليهم القرآن كانوا يعيشون دوراً من أدوار الوهن العقلي واللوثة المعرفية، ولا يدركون من المعرفة إلّا نزراً يسيراً عن الشاة والإبل والاستقسام بالأزلام وعبادة الأوثان، فالعلم هو التاج الذي وضعه الحق فوق رأس هذه الأمة، وكان مفرق طريق بين شريعة الإسلام وغيرها من الشرائع السماوية.

ولقد حثّنا ربنا سبحانه وتعالى، ونبينا ﷺ في كثير من المواطن على العلم والتعلم، لأن العلم عنوان الحضارة وشعارها، ووسام الإيمان والعبادة، وسبب في نهضة البشرية وارتقائها، يقول النبي ﷺ: «**مَن نفَّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومَن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومَن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[1].

ولاحظوا هذا المثل النبوي الرائع، الذي ضربه لمن أخذ ما جاء به النبي ﷺ

(1) رواه الترمذي، 5/ 195، رقم: (2945)، وله شواهد في البخاري ومستدرك الحاكم وابن ماجه.

من الهدى والعلم وكيف يكون حاله، ومن أعرض عن هذا العلم والهدى يقول ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[1].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة، أحرص الناس على تحصيل العلوم النافعة وتعليمها، وكانوا يحثّون على تعلم العلم ويرغبون ويبشرون طالب العلم بخيري الدنيا والآخرة، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (لئن أخرج في شيء من طلب العلم أريد صلاحي وصلاح من أعود إليه، أحب إليّ من صيام حول وقيام حول، لأن الشيطان قال لابن آدم: ليتك تعمل فيما علمت، فيبطّئه عن العلم، ولو كان يُكتفى بعلم لاكتفى كليم الله، وعنده الألواح فيها تفصيل كل شيء، وقد قال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: 66].

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا رأى الشباب يطلبون العلم، قال: مرحباً بكم ينابيع الحكمة، ومصابيح الظلمة، خلقان الثياب، جدد القلوب، حِلَس البيوت، ريحان كل قبيلة)[2].

ويقول فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تعلّموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً، والعلم

(1) رواه البخاري، 1/ 42، رقم: (79).

(2) شعب الإيمان، للبيهقي 4/ 358.

مصباح الله في الأرض، فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه، والملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك، وكل وعاء يضيق بما فيه إلّا وعاء العلم فإنه يتسع.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

وقال الشعبي: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع حكمة، ما رأيت أن سفره ضاع.

**وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:**

ما الفخر إلّا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

واللّه سبحانه وتعالى وضع لنا تصوّراً دقيقاً، وأسساً ينهض عليها العلم وتقوم عليها ركائزه، وأول ركن وركيزة من ركائز العلم، هو التدبر والتفكير، وتمحيص المعرفة عندما تتلقّاها، وفي هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسرَاء: 36].

فقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ الاقتفاء هو التتبع، و﴿مَا﴾ من أدوات العموم والشمول، أي لاتقتف ولا تتبع أي شيء دون علم وخبرة بكنهه وحقيقته، وهذه الكلمة لوحدها ترسم لنا منهجاً متكاملاً في التثبت من كل خبر وظاهرة، أو قضية تذاع قبل إصدار الحكم عليها تعليلاً أو تعقيباً، ثم نلحظ أن الآية قد صبت الحساب على أدوات نقل المعرفة، وهي مدركات الإنسان، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ أو هي امتداد للمدركات، فهذه الوسائل وما وعت سيحاسب عليها الإنسان يوم القيامة.

فأي منهج علمي في العالم يقيم للعلم وزناً، وللأمانة العلمية قداسة كمنهج القرآن هذا، إنه يربط بهذا المنهج بين القلب (الفؤاد) والعقل، فأيّ انحراف في ظاهرة العقل خلال تلقي العلوم أو تلقينها يؤدي إلى نفور القلب وهيجانه، لأن

القلب مركز المراقبة، وهو أول من يقع عليه الحساب يوم القيامة.

ثم إن الإسلام يتفرَّد في هذا الصدد، يوم يدعونا إلى الأخذ والتشبث بالعلوم النافعة التي تكون سبباً في صلاح البشر وسعادتهم، وهجر العلم الضار الذي يكون معولاً هادماً لهياكل الحضارات وأسوارها، وهذا الذي وجهنا إليه رسولنا الكريم ﷺ عندما كان يدعو الله تعالى فيقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**»[1]، ويقول الحبيب ﷺ: «**اللَّهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع**»[2].

هذا هو ديننا، دين يحترم الإنسان، ويقدس كرامته، دين يجعل أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً لمن قدم للبشرية علماً نافعاً، بشتى صنوفه وفنونه، وبمختلف صوره وألوانه، المهم أن يكون نافعاً للإنسان، وكذلك فإن الإسلام يتوعد بالعقاب الشديد والعذاب الأليم لمن سخر العلوم الإنسانية في هدر كرامة الإنسان وحريته، وجعل العلم سبباً في شقاء الأمة وتدهورها، وهذا ما نراه اليوم مع كل أسف، فإن علم الإنسان في عصرنا صنع القنابل الذرية، والقنابل العنقودية، واليورانيوم المخضب، والقاصفات، والراجمات والأسلحة الإشعاعية وغيرها من أدوات الهدم والخراب، أهذه حضارة؟ أهذه إنسانية؟ أهذا علم؟ لكن لمَ العجب، فإننا نتوقع أكثر من هذا ما دام العلم مفرغاً من عنصر الإيمان، متجرداً من مراقبة الله تبارك وتعالى.

ثم إن الله تبارك وتعالى لا يقبل يوم القيامة إيمان عبد ناشئ عن طريق التقليد والمحاكاة، إنما المعوّل على إيمان انبثق من معرفة قطعية بالمعتقد، ولذلك نجد القرآن قد استنكر على أولئك الذين جعلوا عقولهم حبيسة في سجن التقليد الأعمى والتبعية المشؤومة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البَقَرَة: 170].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

(1) رواه مسلم، 4/ 2088، رقم: (2722).

(2) رواه ابن حبان في صحيحه، 1/ 283، رقم: (82)، وابن ماجه، 1/ 298، رقم: (925).

أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: 21].

أرأيتم إلى هذا الاستدراك الرباني: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ...﴾، عجباً لمثل هؤلاء أكرمهم الله بالعقل الفاحص، والفكر الحر، ثم يسلكون مسلك الأعمى المقلد أو الأبله الحائر فيجانبون الحق، ويخسرون الهداية.

ولذلك نجد مولانا ﷻ جعل الإيمان (التوحيد) ثمرة من ثمار تحريك العقل والفكر (العلم) قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمَّد: 19] فقدم العلم على التوحيد، وما ذاك إلّا لأن صاحب العقل الحر، يقوده عقله وعلمه إلى مراتع الإيمان النضرة ورياض التوحيد، ومن هنا فإن الإلحاد في حقيقته شذوذ نفسي لا ارتباط له بمقاييس العلم وموازين المنطق السديد، وما أكثر الملحدين في زماننا، لقد ازدحمت بهم مناكب الأرض، واشتدت سواعدهم في عصرنا الحاضر اشتداداً مقيتاً، وأسعفتهم حضارة الغرب المادي بقوى كثيرة ونزعات الإلحاد التي تعلن كفرها باللّه تعالى، أصبحت تنتظم في مواكب ومؤسسات ضخمة من المثقفين في الغرب والشرق، واستطاع هؤلاء بغزوهم الفكري والثقافي قذف مجتمعاتنا بجملة ليست بالقليلة من الأفكار العليلة، وهي أوهام سرعان ما نوقشت أن تنهار وتتلاشى، وهؤلاء القوم الذين داسوا كرامة عقولهم بنعال الإلحاد، يتحسرون وهم يتلظون في الجحيم، وتنطلق منهم صرخات الحسرة والندامة ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [المُلك: 10].

**أيها الأحباب:**

إن كثيراً من الجامعات والمؤسسات التعليمية، فشلت وأغلقت أبوابها يوم جعلت العملية التعليمية تلقيناً للمتعلم، تحشو فكره وعقله بمعلومات تجريدية ذهنية، لا تعلمه كيف يتم التفاعل خلال التعلم، وخاصة في الجانب التطبيقي العلمي، كما أنها بسبب التقليد المتوارث في المعلومات لا تمكنه من تطوير المعرفة والإتيان بشيء جديد ينفع الأمة، علماً أن العلماء في تاريخ الإسلام سلكوا غير هذا المسلك، إنهم استفادوا من حضارات ومعارف الآخرين، ويبرز هذا عندما

ترجموا بعض العلوم الإغريقية وقدموها للمجتمع، لكن لم تقدم على علاتها، إنهم نقلوها بغربال منطقي دقيق، نقدوها وهذبوها وزادوا عليها وطوروها، لم ينساقوا وراء حسنها وسيئها، إنما أخذوا الحسن وتخلوا عن السيئ فيها، وبهذا يكونون قد بلوروا للعالم منهجاً علمياً دقيقاً في نقل المعرفة وترجمتها والاستفادة من مكنوناتها، وهذا المنهج الذي حفزهم إليه الإسلام، تلقفه الغرب وجعله أساساً لنهضته، ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترزح في دائرة مظلمة ومقلقة من الفقر والمرض والجوع، قام الرهبان وتتلمذوا على أيدي علماء المسلمين في الأندلس وغيرها، وتعلموا اللغة العربية وآدابها، وراحوا يترجمون المخطوطات النفيسة التي خطها المسلمون من فلك وطب وفيزياء وكيمياء وهندسة وغيرها، فسطعت شمس مدنيتهم على أنقاض نجم حضارة آفلة. . .

**أيها الصائمون الكرام:**

لقد كان رَمَضَانُ في حياة سلف هذه الأمة واحة رناء لاستلهام العلوم النيرة، ولم يكن للكسل والخمول والنوم، وتضييع الأوقات وهدر الأعمار كانوا ينظرون إليه على أنه محطة وقود تشحن إيمانهم، فتزداد همتهم في الترقي والنشاط والبحث والإنتاج، ودقة التفكير والنظر في ملك اللهﷻ وتألق الصنعة، مما أضفى عليهم لوناً خاصاً ومكانة سامية في الأرض والسماء، لأنهم أجالوا العقل وأعملوا الفكر فكانوا أخشى الناس وأتقاهم، ولنتدبر معاً بيان القرآن هذا، الذي يوضح لنا فضل العلماء بشتى اختصاصاتهم وعلومهم عندما يكونون من أهل البحث والتفكير والخشية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فَاطِر: 27، 28].

وخشيتهم من اللهﷻ تعالى وإخباتهم له، رفعت قدرهم وذكرهم في الملأ الأعلى قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: 11].

ما أجمل هذا البيان الرباني، والمشهد القرآني العجيب، الذي جمع بكلمات قلائل بين ما بث في منحنيات الأرض وسراديبها ومرتفعاتها من جبال وثمرات ودواب وأنعام، وبين ما دار ومار في حنايا وأقطار نفس الناس من عوالم خفية، وآيات عجيبة لكن بعرض القرآن المتألق الذي يرسم المشاهد الحسية، والملامح الكونية بكلمات موجزة تقوم مقام الخط والريشة والصبغة واللون، ثم سرعان ما ترتسم الصورة من خلال الجملة، ثم سرعان ما تنبض هذه الصورة وكأنها تموج بالحياة.

**أيها الأحبـاب:**

إن العالم الحق هو الذي يبلغ رسالة السماء ووحي محمد ﷺ، ولا يخشى في الله لومة لائم، لا ينظر إلى مدح المادحين ولا إلى قدح القادحين، إنما يجعل من الإخلاص قاعدة له ينهض عليها خلال دعوته إلى الله تعالى، بمنهج الحكمة الذي نشده القرآن وطبقه النبي محمد ﷺ، والحكمة تعني الصواب في القول والعمل، وتعني وضع الأمور في مواضيع، ولا تعني أبداً التهور في المواقف بدعوى الشجاعة، كما أنها لا تعني التملق والنفاق بدعوى الحكمة والدبلوماسية، والعالم سوف يسأله الله على ما منّ عليه من علم ومعرفة، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينعقد قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»**[1].

كما أنَّ القرآن الكريم حذَّر وهدد أولئك الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب والحق، ويقلبون الحقائق أو يخفونها طمعاً في لعاعة دنيوية، أو أملاً في جاه زائل عند ذوي الجاه والسلطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا

(1) رواه الترمذي، 4/ 612، رقم: (2417)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البَقَرَة: 174].

يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه: (الناس ثلاثة: سامع فعاقل، وسامع فتارك، وسامع فعارف، ومن الناس حامل داء، ومنهم حامل شفاء، ومن الناس من إذا ذكرت الله عنده أعانك وأحب ذلك، وإن نسيت ذكرك، ومن الناس من إذا ذكرت الله عنده لم يعنك، وإن نسيته لم يذكرك، فتواضع للّه وتخشّع، وخفِ الله يرفعك الله، وقل سلاماً للقريب والبعيد، فإن سلام الله لا يناله الظالمون، فإن رزقك الله علماً فابتغ إليه كي تعلِّم مما علمك الله، فإن مثل العالم الذي يعلم كمثل رجل حامل سراج على ظهر الطريق فكل من مرّ يستضيء به، ويدعو له بالبركة والخير، وإن مثل علم لا يقال به كغنم نائم لا يأكل ولا يشرب، وإن مثل حكمة لا تخرج كمثل كنز لا ينفع)[1].

ويؤذيني بعض الناس عندما يبتر نصاً قرآنياً يوضح فيه مولانا تبارك وتعالى من هو العالم الحق، وما هي صفاته، فالناس يقرؤون قوله تعالى مبتوراً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: 9] وكان من الواجب علينا أن نقرأ الآية بكاملها لنرى من هم الذين يعلمون ومن هم الذين لا يعلمون، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر: 9].

العالم الحق هو صاحب القلب الخائف الخاشع، الذي إذا جنّ عليه الليل تراه ساجداً وقائماً، يفيض قلبه برجاء مرهف وحساس برحمة الله تعالى، ويوجل ويخاف من عذاب يوم شديد، يستمد بالليل من عطاء السماء، ليتمكن خلال دعوته من إعطاء الخير والرشاد، وفاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يتزود بالليل فكيف يزود الناس بالنهار؟

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه، لأن العالم إذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم إياه ولا غيره، وإن جمع

(1) شعب الإيمان، للبيهقي، 4/ 385.

العلم بالأوقار أي بالأحمال الثقيلة، لأنه بلغنا أن رجلاً في بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتاً من العلم، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء، أن قل لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لا ينتفع به إلّا أن تعمل بهذه الأشياء الثلاثة: أن لا تحب الدنيا فإنها ليست بدار المؤمنين، وأن لا تصاحب الشيطان فإنه ليس برفيق المؤمنين، وأن لا تؤذي المؤمنين فإنه ليس بحرفة المؤمنين.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: الفقيه هو الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكافّ عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم.

هذه هي صفات العلماء الأخيار، الذين يؤثِّرون دون كلام، ويذكِّرون دون بيان نسأل الله أن يجعلنا منهم ويلحقنا بركبهم.

**أخي طالب العلم:**

العلم نور وضياء، وتحصيله يتحقق بشروط وسبل متعددة تعال معي لنتعرف عليها.

**□ أولاً: تقوى الله تعالى:**

كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البَقَرَة: 282].

يا طالب العلم: أقبل على طلب العلم واستزد منه، بنفس تواقة وقلب نيِّر، وجنب نفسك مزالق الشيطان وأماكن العصيان، فإن هذه القلوب أوعية صافية شفافة، لا تقبل إلّا ما كان مثلها، وعندما تكون تقياً للّه تعالى يصبح الله هو معلمك، يفجر ينابيع الحكمة في قلبك فتنساب على لسانك، يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله، شعر بضيق يوماً ما فسأل معلمه وكيعاً فأجابه جواباً وعلاجاً ترجمه هو بقوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور اللّه لا يهدى لعاصي

**❑ ثانياً: العلم بالتعلم:**

فما ولد أحد من بطن أمه عالماً، لأن العلم شيء مكتسبٌ، بملازمة العلماء وسهر الليالي وكثرة القراءة وعدم تضييع الأوقات يحصل الإنسان على العلم، والنبي ﷺ يقول: «**يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماءُ**»[1].

**يا طالب العلـم:**

زاحم العلماء بركبتيك، فإن الله يحيي بحكمهم القلوب كما يحيي بالماء الأرض الميتة، واحرص على تنقيح العلوم في سهر الليالي، ولا تصرفك صوارف الدهر وفتن الزمان الليلية، وعن هذا يقول الإمام الشافعي:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي ... من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء والعشاق
وتمايلي طرباً لحل عويصة في ... الدرس أشهى من مدام ساقي
وأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

**ويقول رحمه الله:**

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
إن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كان عالماً ... كبير إذا ردت إليه المحافل

**❑ ثالثاً: الصبر على طلب العلم:**

طلب العلم يحتاج إلى صبر وجد ومثابرة، وتطبيق لكل ما يمليه المعلم والمربي من واجبات، دون ضجر أو تزمر، ومن رزق الصبر في طلب العلم فقد رزق خيراً كثيراً وعلماً نافعاً غزيراً، يقول الشافعي رحمه الله تعالى:

اصبر على مرّ الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم في نفراته

(1) رواه الطبراني في الكبير وغيره، 19/ 395، رقم: (929)، وقال ابن حجر في فتح الباري: إسناده حسن، 1/ 161.

ومن لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته
وذات الفتى واللّه بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ولقد أوضح الإمام الشافعي لطلاب العلم أسباب تحصيل العلم بقوله:

أخي لن تنال العلم إلّا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

اللّهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

obeikandl.com